بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وأصحابهم ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذه صحائف كتبتها حول الأسرة كما يريدها الإسلام. بمناسبة انعقاد مؤتمر الدوحة العالمى للأسرة، الذى نظمه المجلس الأعلى لشؤون الأسرة بدولة قطر .

وقد انعقد هذا المؤتمر بالدوحة فى يومى ٢٩ و٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤م وبمشاركة من الأمم المتحدة ، والجامعة العربية، وممثلى الأديان السماوية، والاتجاهات الحضارية . وبحضور عدد من الشخصيات المهمة من أنحاء العالم.

ومما سرنى فى هذا المؤتمر : أنه تبنى اتجاها غير اتجاه المؤتمرات الدولية السابقة حول المرأة والأسرة، مثل(مؤتمر السكان) فى القاهرة فى صيف سنة ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين سنة ١٩٩٥ م ، ومؤتمرات أخرى فى بكين ونيويورك وغيرها.

والتى اتخذت خطا يخالف ما قررته رسالات السماء، وما يؤمن به المتدينون فى شتى أقطار الأرض، مثل تأييد الإباحية الجنسية ، وإجازة الزواج المثلى : (اكتفاء الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة) وإباحة الإجهاض بإطلاق، بدعوى أن المرأة حرة فى جسدها، تفعل به ما تشاء، ولو كان فى ذلك قتل جنينها.

ومثل ترك الحرية الجنسية المطلقة للأولاد، وعدم تدخل الآباء، أو الأمهات فى ذلك، بل نزع يد الوالدين عن تربية أولادهما بصفة مطلقة، فلا يجوز أن يفرض الأبوان على أولادهما لونا معينا من التربية، ولا أن يلقناهما عقيدتهما الدينية ، وبالجملة : نزع سلطة الأبوين عن أولادهما الصغار. فلا يعود ثمت مجال لقول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه !

كان هذا هو الاتجاه الغالب على تلك المؤتمرات، ولهذا وقف ممثلو الديانات السماوية فى وجه ما فيها من انحرافات عن الصراط القويم: صراط الفطرة والدين، حتى وجدنا فى مؤتمر السكان فى القاهرة : الأزهر الشريف، ورجال الكنيسة الكاثوليكية (مندوب الفاتيكان) والكنيسة الأرثوذكسية، ورابطة العالم الإسلامى، وممثل جمهورية إيران الإسلامية، وغيرهم يقفون جنبا إلى جنب لمواجهة هذه التحديات

الخطيرة، التى تحاول أن تقتلع الأسرة الطبيعية والأسرة الشرعية من جذورها.

أما هذا المؤتمر فقد أخذ وجهة أخرى، هدفها المحافظة على الأسرة التى دعت إليها كل الأديان الكتابية، وباركتها التوراة والإنجيل والقرآن، ونادت بها اليهودية والمسيحية والإسلام.

وأساس هذه الأسرة هو الزواج، هذا الرباط المقدس، أو (الميثاق الغليظ) كما سماه القرآن، الذى يربط بين الرجل والمرأة تحت مظلة الشريعة السماوية، وعلى أساس عقد شرعى معلن تترتب عليه حقوق وواجبات.

ومن ثمرات هذا الزواج: وجود الأولاد الذين يعتبرون هبة من الله تعالى، سواء كانوا بنين أو بنات ﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ [الشورى: ٤٩].

ومن فضائل هذا المؤتمر: أن المشاركين فيه كانوا جميعا جبهة واحدة ضد الإباحية والتحلل، وكانوا جميعا فى صف القيم الدينية والأخلاقية. ولم يحدث خلاف بين المشاركين كما حدث فى المؤتمرات الأخرى. لأن المؤتمر اهتدى بالفطرة التى فطر الله الناس عليها. كما اهتدى بتعاليم الدين الذى هو جوهر الوجود، وكذلك بقيم الفضائل التى توارثتها الإنسانية على توالى العصور.

وكانت الكلمات والبحوث والمناقشات كلها تدور فى هذا الفلك، وتسير فى هذا الاتجاه الطيب، الذى لا يثمر إلا طيبا، ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً** ﴾ [الأعراف: ٥٨].

ولقد شاركت فى هذا المؤتمر ببحثين، أحدهما: حول الزواج المستقر، والثانى: حول تكاملية الأمومة والأبوة فى بناء الأسرة.

وهما اللذان أنشرهما اليوم فى هذه الرسالة.

وأود أن أذكر هنا كلمة قلتها للمشاركين فى مؤتمر الدوحة، وهى أننا – نحن أصحاب الأديان السماوية – متفقون فى الأصول الكلية، والأسس الكبرى، التى يقوم عليها بناء الأسرة الطبيعية بما فيها من زوجين وأولاد.

وهذه هى الأسرة النووية أو الأسرة الصغيرة أو الضيقة، ولكننا نؤمن بالأسرة الممتدة أو الموسعة، التى تشمل الآباء والأمهات، والأخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولادهم، وهم الذين يسميهم القرآن (أولى القربى) أو (ذوى الأرحام) ورتب لهم من الحقوق، وجعل عليهم من الواجبات، ما يجعلهم فى دائرة واحدة، تربطها شبكة من الأحكام: مثل أحكام (نظام المواريث) و(نظام

النفقات) و(نظام العاقلة) فى دفع ديات القتل الخطأ وشبه العمد .... إلخ .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [الأحزاب : ٦] .

كما أن للأسلام فى شأن الأسرة أحكاما يتميز بها مثل : قوامية الرجل على المرأة ، واختلاف ميراث الرجل عن المرأة ، وشرعية تعدد الزوجات بقيده وشرطه ، وشرعية الطلاق عند تعذر الوفاق ، وغيرها . فلا يجوز أن يفرض على المسلمين أحكام تناقض ما شرعه لهم دينهم .

بل يجب احترام خصائص كل دين ، وأحكام كل شريعة سماوية ، متعاملين وفق القاعدة الذهبية : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ونتسامح فيما اختلفنا فيه .

﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران : ٨] .

* * *

الدوحة شوال ١٤٢٥ هـ — **الفقير إلى الله تعالى**

ديسمبر ٢٠٠٤ م — **يوسف القرضاوى**

obeikandl.com